



جمهورية العراق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة ديالي كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية الدراسات العليا

المقدمة وعلاقتها بالمتن في كتب النقد الأدبي القرن الخامس الهجرى مثالاً

رسالة ماجستير قدمتها الطالبة

حنین وسام جیاد عباس

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها (الأدب)

بإشراف:

أ . م . د . علاء حسين عليوي البدراني

2016م

المقدمة ووظيفها

أولاً: المقدمة.

لما كانت المقدمة نقطة الانطلاق نحو العمل الادبي وجبَ على الاديب أن يُعنى بها بوصفها أولى خطوات الدخول الى النص, ومن هذا المنطلق اولى النقاد القدماء عناية فائقة بالبدايات التي تتقدم المتن سواء أكان هذا المتن ادبياً او علمياً تعمل فيه البداية كما اطلق عليها دورها في اضاءته والكشف عن مكوناته (1).

فالمقدمة تحتل مركزاً مهماً في كل عمل أدبي, وهي احدى المكملات الاساسية التي لابد منها قبل كل نص, ولها الاثر الاكبر في فهمه والتعرف عليه, واستأثرت المقدمة بعناية واسعة قديماً وحديثاً إذ ادرك المؤلفون القدماء أهميتها فأولوها أهمية كبيرة كأهمية النص, فهى اكثر انواع العتبات النصية اهتماماً.

المقدمة لغة.

جاءت المقدمة في اغلب المعاجم العربية بمعنى متقارب, فالمقدمة من كل شيء هي اوله ومن ذلك ما جاء في معجم (لسان العرب): ((قدم واستقدم: تقدم ويقال: قدم فلاناً اذا تقدمه, قدم بالفتح يقدم قدوماً اي تقدم ... وقد استعير لكل شيء فقيل: مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام بكسر الدال, ومقدمة الابل والخيل والمقدمة ما استقبلك من الجبهة والجبين, والمقدمة: الناصية والجبهة. وقيل مقدمة: كل شيء أوله ومقدم كل شيء نقيض مؤخره)) (2).

⁽¹⁾ ينظر: الاستهلال من البيانات في النص الادبي: ياسين النصير, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ط1, 1993م :194, 195

⁽²⁾ ينظر: لسان العرب: المجلد12, 467 - 467, وينظر أيضاً: القاموس المحيط: 162/4, وتاج العروس: 20/9, والمعجم الوسيط: 720/2 .

المقلمة معطيفها

وفي معجم معاني اللغة جاءت المقدمة بمعنى يقترب مما جاء في معجم لسان العرب وهي: ((قَدمَ فلانٌ فلانًا إذا تقدمه وَقَدَمَ يَقْدُمُ: تَقَدمَ, قَدُمَ فُلانٌ أقراَنهُ سبقهم قال تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ (1)... وقَدِمَ فلان على الامر إذا أقدم عليه وقَدمَ فُلانٌ إلى أمر كذا قصد له)) (2).

المقدمة اصطلاحاً.

جاءت المقدمة في تعريفات الجرجاني بأنها: ((ما يذكر فيه قبل الشروع في المقصود لارتباطها))(3), في تعريف الجرجاني القصير هذا يختصر معنى المقدمة ويفسر لنا الارتباط بينها وبين المقصود اي المتن .

والمقدمة في (شرح تلخيص المفتاح): ((مقدمة الكتاب لطائفه من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها, وانتفاع بها فيه سواء توقف عليها أم (4)).

وفي معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب نلحظ بأن المقدمة تأتي على شكل: ((مقال طويل يقدم به المؤلف أهم المبادئ والمناهج التي سيقوم عليها مؤلفه فيما بعد))(5) ويذكر صاحبا المعجم السابق معنى المقدمة :((هو الفصل الأول من

(2) معجم معاني اللغة: محسن مجد معالي, مؤسسة حورس, الاسكندرية, ط1, 2013م :553.

⁽¹⁾ هود: 98.

⁽³⁾ التعريفات: الجرجاني, تحقيق: محمد صديق المنشاوي, دار الفضيلة, القاهرة: 190.

⁽⁴⁾ المطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني, تحقيق: عبد الحميد هنداوي , منشورات دار الكتب العلمية , بيروت - لبنان , ط3 , 2013م : 138.

⁽⁵⁾ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: مجدي وهبة وكامل المهندس, مكتبة لبنان, بيروت, ط2, 1984م: 380.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه: الصفحة نفسها

المقدمة وعظيفها

كتاب يتناول بشيء من الإجمال الأسس التي يقوم عليها الكتاب, والتي من دونها لا يمكن أن يفهم تخطيط تأليفه))(6).

اذن فالمقدمة ((وسيلة ضرورية لرسم صورة عامة, ومركزة على موضوع المتن, لأنه لا يمكن تصور نص أو متن حسب تقاليد التأليف عند العرب دون العناصر المكونة لاستراتيجية المقدمة))(1).

أو هي: ((العتبة الشارحة للكتاب بعامة في النثر, وظيفتها تهيئة القارئ إلى كيفية التعامل مع المتن قرائياً, وقد استطاعت المقدمة أن تحاور المتن ملقية بظلالها على ما فيه من مضامين وآراء))(2).

ويرى جيرار جينيت أن المقدمة هي اكثر العتبات النصية استعمالاً, إما "جاك دريدا" فيرى بأنّ المقدمة لها علاقة أكثر نظامية وأقل تاريخية وظرفية من الإستهلال فهي تعالج قضايا أساسية وسخية⁽³⁾.

مصطلح المقدمة.

وردت المقدمة قديماً بأسماء عديدة قبل أن تستقر على مصطلح المقدمة ومن هذه الاسماء (أول الكتاب) وقد جاء في موازنة الامدي بقوله :((وقد حذر في أول كتابه الذي ألفه في الشعراء من التعرض للشاعر ...))(4). ومصطلح (الخطبة) وهو

⁽¹⁾ العتبات النصية في التراث النقدي العربي: سعيدة تومي: 102.

⁽²⁾ العلاقة بين العتبات النصية والمتن في كتاب الشعر والشعراء : ملكة كاظم : 100

⁽³⁾ ينظر : عتبات جيرار جينيت : عبد الحق بلعابد : 112.

⁽⁴⁾ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : الأمدي , تحقيق : احمد صقر , دار المعارف , ط4 , 1 , 1 , 1 , 1

المقلمة معطيفها

الأكثر تداولاً عند القدماء يقول التوحيدي: ((خطبة كتاب الزند...)) ويقصد بها المقدمة. واستعمل مصطلح (المقدمة) عند بعض المؤلفين منذ القرن الرابع الهجري ومن ذلك يذكر الخطيب البغدادي (ت463هـ) في كتابه (تاريخ مدينة السلام) قوله: ((وقد ذكرنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب)) (1) وهذا يعني إن مصطلح (المقدمة) عرف عند القدماء منذ القرن الرابع الهجري وما بعده وأخذ يتداول الى جانب مصطلح (الخطبة) كما عرفت المقدمة بمصطلح رابع وهو (الصدر) ومن ذلك قول الحصري: ((قال في صدر هذا الكتاب)) (2), وهذا يعني أن في القديم كان مصطلح الخطبة متداولاً مع المقدمة إلى أن استقر مصطلح المقدمة واصبح شائعاً (3).

وإن مصطلح (المقدمة) كثيراً ما يتداخل مع ((مصطلحات اخرى مثل: التمهيد, والمدخل, والتصدير, والفاتحة, والمطلع, والاستهلال,... فالفاتحة تختص بالدراسات القرآنية, فكثيراً ما يقال (فواتح السور) اي اوائلها أما المطلع والاستهلال فهذه المصطلحات أكثر ارتباطاً بالنصوص الشعرية العربية القديمة))(4).

أما الفرق بين المقدمة والتمهيد فهو إن ((المقدمة أشبه بحديث نفس يكتبها الباحث متحدثاً عن تجاربه ومعاناته ... أما التمهيد فهو أشبه بجزء من البحث إلا أنه سابق عليه, وهو أشبه بالأرضية أو الخلفية الفنية التي تلقي ضوءاً على أبواب

⁽⁵⁾ البصائر والذخائر : لأبي حيان التوحيدي , تحقيق : داود القاضي, دار صادر , ط1: 3 / 52 .

⁽¹⁾ تاريخ مدينة السلام: الخطيب البغدادي, دار الغرب الاسلامي, بيروت, ط1, 1422هـ (1) تاريخ مدينة السلام: 9 / 174.

⁽²⁾ زهر الآداب وثمر الآلباب: لابي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني , شرح: صلاح الدين الهواري , المكتبة العصرية , ط1 , 127 - 1421 .

⁽³⁾ ينظر: منهج البحث الادبي عند العرب: احمد جاسم النجدي: 226 , 227

⁽⁴⁾ مدخل الى عتبات النص: عبد الرزاق بلال: 35.

المقدمة وعظيفها

البحث))⁽⁵⁾ وهذا يعني ان المقدمة نظرة مركزة عن المتن, بخلاف التمهيد الذي يُعد جزء مكمل من البحث يبرز فيه الكاتب مرتكزات متنه الاساسية .

أما التصدير فيعني به ((كلمة يكتبها المؤلف في أول كتابه يعبر فيها عن ملاحظات شخصية موجهة إلى قارئ الكتاب, وتنتهي عادة بفقرة فيها الشكر للأشخاص والهيئات التي ساعدت المؤلف في بحثه, وقد جرت العادة أن يكتب تصدير جديد لكل طبعة جديدة لمؤلف ينص فيه على ما في الطبعة الجديدة من اختلاف عن الطبعة أو الطبعات السابقة عليها, ولا يتعدى التصدير الصفحتين أو الثلاث, في حين أن المقدمة قد تصل إلى طول فصلين من فصول الكتاب))(1).

نشأة المقدمات.

إذا ما جئنا نبحث عن نشأة المقدمات فإننا لن نجد ((في المصادر القديمة تاريخاً للمقدمات وكيف بدأت وتطورت عبر هذه القرون الطويلة, وهناك بعض المصادر الحديثة التي تناولت (بدايات) الكتب والرسائل والخطب في الحديث وهي قليلة نوعاً ما))(2.

من هذه المصادر التي بحثت في نشأة المقدمات (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) لزكى مبارك إذ يقول عن بدايات الكتابة العربية: ((من خواص الكتابة عدم

⁽⁵⁾ المنهج العلمي في البحث الادبي: حامد حفني داود, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر,

¹⁹⁸³م:174, نقلاً عن رسالة العتبات النصية في التراث النقدي العربي: سعيدة تومي: 103.

⁽¹⁾ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: مجدي وهبة وكامل المهندس: 104.

⁽²⁾ العلاقة بين المقدمة والمتن في كتب النقد الادبي إبان القرن الرابع الهجري: نهلة صباح العدواني, رسالة ماجستير, جامعة الموصل, 2000م: 14.

⁽³⁾ النثر الفني في القرن الرابع الهجري : زكي مبارك , مطبعة دار الكتب المصرية , ط1, القاهرة, 1934م : 1/ 58 .

المقدمة وطيفها

التأنق في البدء والختام, فقد كانت الجاهلية تكتب في أول كتبها (باسمك اللهم) ثم تكتب من فلان إلى فلان, ويمضون في العرض))(3), وهذا وصف لبساطة التقديم في العصر الجاهلي إذ لم تنال البداية وكذلك الخاتمة أهمية في ذلك الوقت .

إما في العهد النبوي فقد ((كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يفتتح كتبه بالبسملة ثم يقول: من محجد رسول الله الى فلان, ويبتدئ صدورها غالباً بالسلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى, ويثني بالتحميد بعد السلام فيقول: إنّي احمدُ الله إليك الذي لا اله الا هو, ويتخلص من صدر الكتاب إلى المقصود, تارة بأما بعد, واخرى بغيرها, وكان يختتمها في الاكثر بالسلام عليكم ورحمة الله, أو السلام على من اتبع الهدى)(1).

فكانت الرسائل والكتب في العهد النبوي متخذة هذا النمط البسيط من التقديم, ويرى احد الباحثين المحدثين أن مقدمات القرنين الأول والثاني لا تكاد تعطينا توضيحاً لما كانت عليه المقدمات سابقاً (2) فيقول: ((وليس بين ايدينا ما يدل على النشأة التاريخية للمقدمات, فمقدمات القرن الأول الهجري لا تكاد تعطي بياناً شافياً شاملاً لما كان عليه الأمر, فضلاً عن أن ما وصلنا منها قليل جداً لا يكاد يذكر, أما مقدمات القرن الثاني الهجري, فيغلب عليها أكبر الظن أنها مصطنعة ومن فعل الرواة, كما هو واضح في كتب المجموعات الشعرية والاختيارات وما شاكل ذلك))(3).

⁽¹⁾ النثر الفني في القرن الرابع الهجري: زكي مبارك: 1 / 58.

⁽²⁾ ينظر: العلاقة بين المقدمة والمتن في كتب النقد الادبي إبان القرن الرابع الهجري: نهلة صباح العدواني: 14.

⁽²⁾ مقومات مناهج التأليف العربي في مقدمات المؤلفين: هاني صبحي العمد, جمعية عمال المطابع التعاونية, الاردن, ط1, 1987م: 40.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه: 143

المقلمة معطيفها

ثم اخذت المقدمات تتطور شيئاً فشيئاً فبعد أن كان ((المنهج في هذه المقدمات سهلاً بسيطاً لا يعدو أن يكون عبارة عن تحميد لله تعالى وصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم), فعبارات تدل على اهتمام عام بالموضوع الذي اصبح أو سيصبح تعليمياً ... ما لبثت هذه الملاحظات أن تطورت لتتكاتف مع ملاحظات أخرى على درجة من الأهمية لإخراج منهج متكاملٍ من حيث اهتمامه بالعناصر الضرورية للمقدمات))(4).

وهذا يعني أن فترة المقدمات قد ((تطورت أو تنامت عناصرها, وأظهرت مرونة في تقبل الجديد, وتطوير المعلومات بحيث اصبحت المقدمات مع مرور الزمن نماذج تحتذى, وكان الكاتب من خلالها يقدم الافكار الجديدة أو يعلن عن بعض الاتجاهات والمواقف . ومن المؤكد أن المقدمات هذه لم تخضع لمراسيم محددة وتقنين رياضي))(1), وهذا يعني أن تطورها هذا كان بسيطاً في مراحله الاولى لا يعدو أن يكون تطوراً في طريقة التحميد, وطريقة عرض الموضوع, وزيادة حجمها عن المراحل السابقة .

وإذا ما وصلنا الى مقدمات القرن الثالث الهجري فإنها: ((شهدت نضجاً في التأليف, ووعياً من المؤلفين لحقيقة ما يؤلفونه, لذلك اعتبر هذا القرن العصر الذهبي لنضج المقدمات وتكوينها المنهجي))(2).

ولكن هذا النضج لم يكن مطلقاً على كل المقدمات, فمقدمة كتاب (الحيوان) للجاحظ متوزعة ما بين بداية الكتاب ومنتصفه, وكذلك الامر مع مقدمة كتاب (الكامل) للمبرّد, والذي يدل على نضج مقدمات هذا القرن هي مقدمة كتاب (طبقات

⁽¹⁾ مقومات مناهج التأليف العربي في مقدمات المؤلفين: هاني صبحي العمد : 144,143

⁽²⁾ المصدر نفسه: الصفحة (ح) من المقدمة .

المقدمة وعظيفها

فحول الشعراء) لابن سلام (ت232ه) ومقدمة كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة (ت $^{(3)}$.

وبالفعل فإن هذه الحقيقة لا تنطبق على القرن الثالث فقط, وانما نجدها في مقدمات القرون التالية له, فليست كل مقدمات القرن الرابع والخامس الهجري على مستوى واحد من النضج وهذا يعتمد على وعي المؤلف وذوقه, وعلى موضوع تأليفه وطريقة عرضه ومدى استيعابه لأهمية وجود عناصر المقدمة ودورها الفاعل, وعلى الرغم من ذلك إلا أنها تبقى صورة حية تنبض بتاريخ تلك الحقب وما دار فيها من صراعات وطروحات فكرية وفلسفية.

وتبقى مقدمات هذه القرون((صمام الامان الذي يحفظ التوازن وينير السبيل ويؤدي المهمة التي يسعى المؤلف الى تحقيقها . كما كانت المقدمة بمثابة الهوية الرسمية التي تدل على فكرة المؤلف وقدرته الهندسية في إقامة المعمار الذي يتوافر على الجزئيات والتفاصيل الدقيقة والغايات والأهداف والخطة والمنهج وأسلوب المعالجة وطريقة البحث وأصول الكتابة والتأليف))(1) .

فالمقدمات تمثل ((بناء استراتيجياً موجهاً نحو النص والمتلقي قصد بناء تواصل أو تحديد نمط من القراءة المتواخاة كون المقدمات من أهم العتبات النصية التي تستشرف حقول الدلالات, وتسمح بخلق تصور عام عن أفكار أو ممارسات منسجمة, ومنظمة ضمن إطار شامل من الرؤيتين المعرفية والجمالية للمدونة النقدية))(2).

⁽³⁾ ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

⁽¹⁾ مقومات مناهج التأليف العربي في مقدمات المؤلفين: هاني صبحي العمد: 148.

⁽²⁾ الأبعاد التداولية في المدونات النقدية التراثية القرن الرابع انموذجاً: حيدر اسماعيل عسكر اطروحة دكتوراه, جامعة المستنصرية, 2016م: 45.

المقلمة ووظيفها

إن وجود المقدمة في بداية كل عمل يعد أمراً ضرورياً ((فالمقدمة ترسم ملامح العمل وتضفي عليه صفة التوافق مع المتن, ويكون الارتباط بين المقدمة والمتن مثل الارتباط بين السبب والنتيجة ضمن عملية بنائية منطقية تعكس خصائص النص الذي ينطلق منه المؤلف ... فالمقدمة مرتبطة ارتباطاً جدلياً بالنص, اذ تعد جزءاً منه تدور حوله و تسبح في فلكه))(3) .

وتبقى المقدمات وإن اختلفت طريقة عرضها والغرض منها وسيلة ضرورية لتقديم نبذة مختصرة وكافية عن محتويات المتن, بل هي أدوات للكشف عن المتن أو محتوى الكتاب تجعل القارئ على دراية مبدئية بهدف التأليف ومنهج المؤلف وغايته.

ثانياً: أهمية المقدمة.

يهمل البعض منا أهمية العتبات النصية, ويعدّها شيئاً ثانوياً وضعت كهيكل أعتاد المؤلفون التقديم به لمؤلفاتهم متجاوزين العتبات النصية إلى المتن, وسبب ذلك كثرة العناية بقراءة المتون, فضلاً عن ذلك فإن القراء لم يعتادوا أن تكون للعتبات النصية هذه الأهمية, ولا سيما المقدمة النص الموازي للمتن.

وعلى الرغم من هذا الإهمال تبقى للمقدمات مكانتها المهمة في الدراسات النقدية والأدبية, فهي العتبة المركزية من ضمن العتبات النصية, بعد أن كان النص في ذاته الموضوع الأساس والمفصل منذ العقود السابقة . فهي تساعد في التعرف على محيط النص والإلمام بمقاصد مؤلفه وكيفية تلقيه من قبل الأخر (1) .

أ- أهمية المقدمة في التراث النقدي العربي .

⁽³⁾ المصدر نفسه: الصفحة نفسها .

⁽¹⁾ ينظر: العتبات النصية في التراث النقدي العربي: سعيدة تومي: 103.

المقدمة وعظيفها

لقد أولى الكتاب القدماء عناية كبيرة بالابتداءات فأكثرهم تحدثوا عن أثر الابتداء في المؤلفات ونجاحها وشهرتها, وهم إن لم يشيروا إلى العتبات صراحة ومنها المقدمات إلّا أن حديثهم عن أثر الابتداء في كل عمل يفسر لنا وعيهم التام بأهمية وجود المقدمة في بداية كل تأليف, ومن ذلك ما يذكره الجاحظ (ت255هـ) عن أثر الابتداء في الكتاب قائلاً :((إن لابتداء الكتاب فتنة وعجباً))(2) والابتداء هنا يشمل العنوان ايضا الذي يتقدم المقدمة وطريقة صياغته وغيره من الممهدات لدخول النص.

إن هذه العبارة تشير إلى أهمية العتبات التي تتقدم المتن, ودورها الفاعل في جذب القراء, وفيها إشارة واضحة إلى ضرورة الاعتناء بهذه العتبات التي تعد المدخل الممهد للمتن, ولاسيما المقدمة بوصفها العتبة المهمة التي تزيل الإبهام عن النص, وتكشف عن جوانبه الأساسية, فهي بحق كلمة جامعة مانعة توضح ما لمسه القدماء من فاعلية بارزة لمقدمات كتبهم آنذاك .

والمتتبع للمقدمات ((في تراثنا النقدي العربي يجدها تشكل في حد ذاتها مرجعاً رئيساً يحوي الكثير من القضايا النقدية, كما تستوعب هاجساً معرفياً عاشه نقادنا العرب وبذلك فهي تؤطر للنقد العربي التراثي))⁽¹⁾, فضلاً عن أهميتها الشكلية في الكتاب، وطرائق انسجامها معه من جهة الإطالة أو القصر, أو الايجاز والإطناب بعيداً عن الخلل في المنهجية, فالتقديم يتناسب مع المتن في نسق يجعل القارئ ذا نظرة متوازنة في التدرج والفهم للمعلومة التي احتواها الكتاب .

⁽²⁾ الحيوان : ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ , تحقيق : عبد السلام محجد هارون, ط2, 1384 هـ - 1965 م :88/1 .

⁽¹⁾ العتبات النصية في التراث النقدي العربي: سعيدة تومي:96 , 97 .

المقلمة معطيفها

ولم تقتصر عناية القدماء بالابتداء في الكتب بل ان عنايتهم بهذه الابتداءات تنبع من ادراكهم اهمية المطالع في القصائد العربية ودورها في المتلقي, ومن ذلك ما يذكره ابن طباطبا العلوي (ت322ه) في كتابه (عيار الشعر) متحدثاً عن مطالع القصائد: ((وينبغي للشاعر ان يحترز في اشعاره ومفتتح أقواله مما يُتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات, كذكر البكاء ووصف إقفار الديار, ... فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامُعُه ...))(2).

ففي هذا النص أشار ابن طباطبا العلوي إلى مقدمات القصائد منبهاً الشعراء إلى دورها الفاعل في شهرة قصائدهم, فاذا كان المطلع لطيفاً وذا الفاظ حسنة كان داعياً إلى مواصلة القراءة أو الاستماع حتى خاتمة القصيدة, اما إذا افتتح قصيدته بما يثقل على القارئ أو السامع من مراثي أو بكاء ابعد القارئ عن مواصلة القراءة .

وذكر ابو هلال العسكري (ت395ه) في كتابه (كتاب الصناعتين) قائلاً: (قال بعض الكتّاب: أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان)) أن اهذا القول يدل على الاهتمام بمطلع أي عمل أدبي، فالشعراء القدماء منحوا مطالع قصائدهم نصيباً من عنايتهم، وذلك لأدراكهم أهمية المطلع بوصفها أول ما يقع في السمع فاذا كان بارعاً، ايقظ نفس السامع، داعياً الى الاستماع الى ما بعده (2).

ويشير علي بن خلف الكاتب (ت437هـ) الى مكانة المقدمة في الكتاب قائلاً: (فإن منزلة هذه المقدمات من كل كلام مؤلفٍّ, منزلة الرأسِ من الجَسدِ والأساس من

⁽²⁾ عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي, شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر, دار الكتب العلمية, بيروت - لبنان, ط2, 2005م -1426ه: 126.

⁽¹⁾ ابو هلال العسكري ، تحقيق : علي البجاوي ومحجد ابو الفضل ابراهيم, شركة ابناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر, بيروت – لبنان , 1434 هـ -2013م :399 .

⁽²⁾ ينظر: قضايا النقد القديم: مجد صايل وعبد المعطي نمر موسى، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن,ط1,1990 :71.

المقلمة معطيفها

البناء, وكما أنّ الرأسَ يضم أعضاءَ الجسدِ ويرأسها, كذلك المقدمة التي يُقدّمُها المئشئُ في صدرِ كلامهِ تضُم ما تتبعه ويقَع في ضمنه, وكما الباني لا بد له من وضعِ أساسٍ لما يبنيه, يعتمدُ عليه ويستندُ إليه, كذلك مؤلَّفُ الكلامِ لا يَغنى عن تقديم مقدمةٍ يتطرق منها الى ما يرومُ التأليف فيه..))(3).

هذا القول يدل على ((إن العرب القدامى لم يكونوا غافلين عن أهمية المقدمات ودورها في التأليف, وإذا كان بارت قد أشار الى أن العنوان يشكل رأساً للجسد/ النص فإن العرب القدامى قد أشاروا – قبل ما يقارب قروناً عدة – إلى أن المقدمات تحتل منزلة الرأس من الجسد وأنها الأساس في البناء النصي))(4)، وهذا يدل على سبق العرب ووعيهم بالمقدمات ومكانتها .

وقد ادرك نقادنا القدماء أهمية المطالع الشعرية ومقدمات الكتب لكونها تمثل أداة تواصل بين القارئ والنص, ومن ذلك يقول ابن رشيق القيرواني (ت456هـ): ((حُسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح، سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام أبقى في السمع والصق بالنفس, لقرب العهد بها, فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح)) (1). ويقول أيضاً: ((فإن الشعر قُفُلُ أوله مفتاحه, وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره, فإنه أول ما يقرعُ السمع, وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة)) (2).

⁽³⁾ مواد البيان : علي بن خلف الكاتب , تحقيق : حاتم صالح الضامن, دار البشائر للنشر والتوزيع, دمشق – سورية, ط1, 1424هـ – 2003م :84 .

⁽⁴⁾ عتبات الكتابة بحث في مدونة مجهد صابر عبيد النقدية : سوسن البياتي , دار غيداء للنشر والتوزيع , ط1 , 1435 هـ - 2014 م: 53 .

⁽¹⁾ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني, شرح: صلاح الدين الهواري وهدى عودة, دار ومكتبة الهلال, 2002م: 12:

⁽²⁾ المصدر نفسه : 366

المقلمة معطيفها

يشير ابن رشيق في أقواله السابقة الى مقدمات القصائد, وهي عتباتها التي تؤدي إلى الغرض الشعري, فالافتتاح في القصائد العربية بمكانة المقدمة في الكتاب وعلاقتها بالمتن, ويُفهم من قوله إن الافتتاح الجيد علامة على نجاح الشاعر, وهو بهذا يشير إلى أن للافتتاح أثر كبير في نجاح القصيدة, وهذا الحال ينعكس بدوره على مقدمات الكتب فكلما كانت المقدمة متكاملة السمات, وذات ألفاظ وعبارات دقيقة كلما دلت على وعي الكاتب, ونجاحه في صياغة متنه.

ويعقب حميد لحمداني في بحث له مؤكداً النظرة الشمولية العلمية لابن رشيق القيرواني (ت456هـ) وغيره من النقاد اللذين((كان لهم وعي واضح بظاهرة الافتتاح في الشعر العربي وأهميتها في التمهيد للموضوعات الأساسية في القصائد المدحية على الخصوص)) (3).

إذ أن من مميزات ذلك الوعي الذي امتاز به ابن رشيق ((أنه عالج بنية القصيدة بوصفها مجموعة أجزاء مترابطة: بداية ووسط ونهاية, وأنه جعل لكل قسم وظائف محدودة . ومع أنه أشاد إلى حد كبير بالخواتم باعتبارها تقدم خلاصات تجارب الشعراء ألا أنه مع ذلك عدّ الافتتاح الجيد علامة على نجاح الشاعر وبذلك نلاحظ أن لديه نوعاً من النظرة التفاعلية بين الأجزاء الثلاثة دون أن يتخلى في نفس الوقت عن وضع الخاتمة من حيث التفضيل في المرتبة الأولى)(1).

وتحدث نقادنا القدماء عن أركان ينبغي لكل كاتب أن يجيدها وفي مقدمة هذه الاركان (الابتداء) فيذكر ابن الاثير (ت637هـ): ((أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة؛ فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع, أو يكون مبنياً على مقصد الكتاب, وأن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقاً من المعنى الذي بنى عليه الكتاب,

⁽³⁾ عتبات النص الادبي: حميد لحمداني, مجلة علامات, ج 46, م 12, 2002م: (3)

⁽¹⁾ عتبات النص الادبي: حميد لحمداني: 12.

المقدمة وطيفها

وان يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة؛ لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض...))(2) .

وأشار القزويني (ت739ه) إلى أن المتكلم يجب أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه : ((الأول الابتداء لأنه أول ما يقرع السمع، فاذا كان كما ذكرنا اقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وأن كان خلاف ذلك، أعرض عنه ورفضه، وأن كان في غاية الحسن))(3)، وفي هذا القول دعوة صريحة بضرورة العناية بالمقدمات؛ لأنها أول ما يواجه قارئ الكتاب بعد العنوان، ولها القدرة على تنفير القارئ، أو جذبه لإدامة القراءة, ولا سيما حين تكون مكتوبة بلغة شيقة رائقة إذ انها تكون ذات فاعلية مؤثرة في القارئ تشده لمواصلة القراءة.

وهذه الأقوال انما هي توثيق ((لأهمية البداية والاستهلال في القول، تجعل من الغرض هدفاً تومئ الى إبرازه في سطورها، فأن لم يكن فهو عن البراعة أبعد، وفي استهلاله أخفق، وهي أقوال أن لم تصرح بالمقدمات لكنها تلمح وتشير لها، وتؤكد على كينونتها، وجوهرها في انبثاق القول انبثاقاً يستولي على الأسماع والأفهام))(1).

وبذلك يمكننا القول أن المؤلفين القدماء كانت لديهم العناية الواسعة بالمقدمات إذ اولوها عناية كبيرة فهم واعون بأثرها في المتن والدور الذي تقوم به في الكشف عن افكار الكاتب, وأسلوبه إذ يترك أسلوب الكاتب في صياغة عباراته وألفاظه في المقدمة الأثر البالغ في جذب القارئ, وتكوين افكار مهمة عن عالم النص .

⁽²⁾ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ابن الاثير, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, مطبعة مصطفى الحلبي واولاده, مصر: 1 /72.

⁽³⁾ الايضاح في علوم البلاغة: القزويني, منشورات دار الكتب العلمية, بيروت - لبنان, ط1, 1421هـ - 2003 م: 322.

⁽¹⁾ المقدمات في كتاب العقد الفريد: سميه بنت عبد الهادي العمري: 33

المقلمة معطيفها

فأن بعض القراء يقصدون النص المركزي مباشرة على (أساس أنه الأهم والاجدى، فأن هذا التجاوز غير المبرر يجعل القارئ لا يتعرف منذ البداية على ما يريد الكاتب تعريفه به قبل الشروع في عملية القراءة، فالمقدمة صرح ومبنى يحتل موقعاً استراتيجيا لتشييد علاقة متينة من التواصل والتفاعل مع الخطاب، لأجل ذلك كان اهتمام العلماء العرب بالمقدمات وحسن تدبيجها، فلا يخلو مؤلف من "خطبة الكتاب" التي يجد فيها القارئ بهاء ودقة التعبير وحسن وجمال الصياغة))(2) وبالفعل هذا ما اعتدنا عليه وهو أن نتجاوز العتبات النصية ومن ضمنها المقدمة إلى المتن مباشرة, ولا يجذبنا منها سوى العنوان الذي يختاره الكاتب بطريقة تثير انتباه القارئ .

ثم أن المقدمات على هذا لها براعة مساوية ((لبراعة الاستهلال ... الذي استحق أن يكون بارعاً في جذبه وتنبيهه, فاذا كانت المقدمات جاذبة منبهة, وأضاءت حين قدمت, ودللت على مرادها من أول وهلة, وتجذرت في سطورها أهمية نصها وعنوانها استحقت لقب "براعة المقدمات"))(3)

ب- أهمية المقدمات في النقد المعاصر.

أولى نقادنا المعاصرون عنايتهم بالعتبات بشكل عام, والمقدمات بشكل خاص بعد أن ادركوا اثرها الفاعل, فهي تُشكل سلسلة متصلة بين المؤلف والقارئ وبين القارئ والمتن أو النص الكلي, إذ يحاور المؤلف قراءه ويقدم لهم تصوراً أولياً عن متن مؤلفه, ففي المقدمة هناك علاقة ثنائية تعقدها المقدمة بين القارئ والمؤلف أولاً وبين القارئ والنص أو المتن ثانياً, ويشكل الكاتب القطب الأساس فيها (1).

⁽²⁾ عتبات النص في رواية الثلاثة محمد بشير الإبراهيمي دراسة تداولية: ابراهيم بن عبد الرحمن البراهمي, مجلة الدراسات اللغوية والأدبية, ع 38: 1

⁽³⁾ المقدمات في كتاب العقد الفريد: سميه بنت عبد الهادي العمري

المقدمة ووظيفها

ومن الباحثين المحدثين الذين تنبهوا إلى الأثر الفاعل للمقدمات في التأليف, وطريقة عرضها بحيث أن وجودها لا يعرقل النص بل تتفاعل معه, وتؤثر فيه عبد الملك أشبهون يقول: ((فالنص التقديمي نص مضاف إلى النص المركزي, قد يشكل استثقالاً في بعض الأحيان, حينما يتعدى المجال المعقول من عدد الصفحات التي تخصص له, وبالتالي قد يعود سلباً على تحفيز القارئ على قراءة المتن, ناهيك عن أن هذه المقدمات يراد بها شرح النص أو تسلط الضوء على مناطقه المعتمة فيه, وهذا ما لا يقتضيه الإبداع, لأن أصل الإبداع هو اختراق مغاليق الكتابة بدون توجيه خارجي أو بدون أخذ فكرة مسبقة عن فحوى الموضوع. أذ أن فكرة إعطاء معلومات أولية حول موضوع الكتاب يعني خرقاً لأسراره الداخلية وانتهاكاً لحرماته, وما قيل عن المقدمة ينسحب – بصورة جزئية – على النص التوجيهي الذي له علاقة بموضوع التنبيهات والاحتراسات))(2).

وهذا النص يشير بشكل صريح إلى قيمة المقدمة التي تعد واجهة المتن, وضرورة التزام المؤلفين بشروطها حتى لا تضيع الفرصة على القارئ في أفادته من مضمون الكتاب ومواصلة قراءته, بمعنى ان الكاتب يعطي في مقدمته تنويرات لما سيذكره في المتن لا تتم الفائدة منها الا بتمام قراءة المتن حتى لا تضيع فرصة الاستفادة من وجود المقدمة, كما اشار عبد الملك أشبهون في نصه السابق الى نقطة مهمة وهي عدم اطالة المقدمة بشكل ينفر القارئ منها ومن الكتاب كله بل تكون معقولة متوسطة تؤدي بغرضها في فهم المتن .

⁽¹⁾ ينظر: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل: شعيب حليفي: 107.

⁽²⁾ عتبات الكتابة في النقد العربي الحديث: عبد الملك أشبهون, مجلة علامات في النقد, السعودية, العدد (58), ديسمبر, 2005م: 284, 284.

المقلمة وعظيفها

أما عبد الفتاح الجحمري فإنه يرى أننا ((عادة ما كنا وربما لا نزال نقفز فيها على صفحات المقدمة سواء طالت او قصرت، لاعتقادنا أنها غير ضرورية، ومن ثم, فإن أفضل وسيلة لرد الاعتبار للمقدمة هي قراءتها والتحاور معها))(1).

وهذا النص يقترب كثيراً مما أعتدنا عليه, وهو أن نتجاوز المقدمة إلى المتن ظناً بأنها غير ذات أهمية, وانها وضعت لغاية جمالية, ولكن بعد أن توجهت الدراسات الى العتبات النصية بشكل عام, والمقدمات بشكل خاص تغيرت مفاهيمنا وافكارنا عنها واصبحنا نعتد بها ونجعل لها اهمية موازية للمتن بالنظر الى أهميتها الفكرية التي تشمل الكتاب كله بما فيها من رؤى وافكار وتساعد المتلقي على تقبل النص وقراءته.

إذن ((فالمقدمة تحمل سلطة توجيه لقراءة العمل كما أنها تطرح تصورات المؤلف وغاياته من التأليف وتكشف عن مقصده، ومن هنا فهي تعتبر نوعا من التقييد للنص والمتلقي في آن واحد، وإذا جاءت المقدمة تطرح تساؤلات واستفسارات وتحيل الى قضايا ثم تترك الإجابة عنها مفتوحة فتحيلها الى النص، ليجيب عليها فهذه المقدمة تُعد أسهاماً في حركية العمل فيأتي النص مشروعاً أو توضيحا ... مما يحقق ثراءها وعمقها))(2).

ومن الباحثين الغربيين الذي أولوا عنايتهم بالعتبات جيرار جينيت في كتابه (عتبات) إذ أبدى تعمقاً واسهاباً كبيرين في العتبات وكل ما يتصل بها, وكان عمله هذا حافزاً على أن يلتفت الكتاب الى العتبات وبالأخص الى المقدمة إذ ((كان القراء والمهتمون دائما في حالة حوار صامت مع هذه العتبات يعتبرونها مجرد مدخل

⁽¹⁾ عتبات النص الادبي : عبد الفتاح الجحمري , شركة الرابطة, الدار البيضاء , ط1 , 41 .

⁽²⁾ عتبات النص في رواية الثلاثة: ابراهيم بن عبد الرحمن البراهمي :38.

⁽³⁾ ينظر: عتبات النص الادبي: حميد لحمداني: 22.

Abstract

The study (An introduction and its relationship to the literary criticism books) states the importance of the introduction which represents almost a surpassing aside to some of us, it represents as a light of what will come in the body, and its function remains active and continuous until the completion of the body. The importance of this study is an attempt to narrow the slit disparity which dominated the introduction in isolation from the body in the time that has passed, the introduction has been characterized from other scripts thresholds that being offered to the reader a compendium of the body contents, and it highlights the author personality and his style and taste. The introductions in the Arab heritage is one of the basic supplements in every literary work, In the past, authors realized the importance that they placed great care. The importance of studying the introduction and its relationship to the body in determining the extent of overlap between the introductions to the fifth century A.H. and its bodies to identify any strings that bind between the introduction and body as well as discordance in between.

The study includes an introduction, preamble and three chapters as well as a conclusion. The preamble has been included, the most critical currents in the fifth century (A. H.), with an indication of the concept of thresholds texts and the old and new introduction at different label in the term. The first chapter was titled (introduction philosophy in a critical vision). The necessity due to the nature of the subject that is divided into three sections, the first section dealt with (the importance of introduction and function), while the second section dealt with (building the introduction), while the third section dealt with the (types of introductions) followed by the second chapter, which is entitled (substantive correspondence and formal), which is on two themes: the first part entitled

(the critical side of the writings at fifth century in light of recent studies), and the second part is entitled (introduction and what is matched with it), the third chapter is entitled: (thematic and formal discordance), which is also divided into two sections, the first section is entitled (introduction and what is matched with it), while the second section is entitled (sub introductions attached to the original introduction). The study includes a conclusion where it recorded the most important findings or results.